IJHER International Journal of Humanities and Educational Research
ISSN: 2757-5403
Volume 5, Issue 5, October 2023

Received: 11/08/2023 **Accepted:** 13/09/2023 **Published:** 01/10/2023

GIFTS OF THE HOLY QUR'AN AND THEIR IMPACT ON MORAL ADVANCEMENT AND BUILDING HUMAN VALUES IN THE LIGHT OF SURAT AL-HUJURAT

Mashaer Ali Hamad ALMUKHYTAH [1]

Assistant Professor, Hafar Al-Batin University, Al-Khafji University College, Saudi Arabia

Abstract

This research delves into an analysis of the verses of Surah Al-Hujurat, focusing on their elucidation of ethics and human values. The Surah encompasses narratives and events that transpired during the era of Prophet Muhammad, peace be upon him. These events prompted the revelation of verses that provide divine guidance on how to address these incidents, outlining the virtues, morals, and values both individuals and the society should embody. These principles serve as the foundation for societal cohesion, protecting it from discord, division, hatred, and resentment. The study aims to clarify the implications of the verses by extracting the morals and values they advocate, whether by commanding certain behaviors or prohibiting others. This analysis draws from exegetical literature, the interpretations scholars have derived from the verses, as well as books dedicated to ethics.

Key words: Gifts, Sophistication, Morals, Values, Humanity, Hujurate.

http://dx.doi.org/10.47832/2757-5403.22.20

1 malmakhytah@uhb.edu.sa

هدايات القرآن الكريم وأثرها في الرقي الأخلاقي وبناء القيم الإنسانية في ضوء سورة الحجرات

مشاعر علي حمد المخايطة

أستاذ مساعد، جامعة حفر الباطن، الكلية الجامعية بالخفجي، المملكة العربية السعودية

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة آيات سورة الحجرات من حيث بيانها عن الأخلاق والقيم الإنسانية، فقد وردت في هذه السورة قصص وأحداث وقعت في زمن النبي محمد ﷺ، تنزلت لأجلها الآيات التي تتضمن التوجيه الرباني في التعامل مع هذه الوقائع، وما يجب أن يكون عليه الفرد والمجتمع من فضائل وأخلاق وقيم، تشكل البناء المجتمعي وتحافظ عليه من الفرقة والاختلاف والكراهية والضغينة، مع تبيين دلالات الآيات باستخلاص الأخلاق والقيم منها؛ سواء بالأمر ببعضها أو النهي عن بعض، وذلك من خلال كتب التفسير وما يستنبطه العلماء من الآيات، وكذلك الكتب المهتمة بالأخلاق.

الكلمات المفتاحية: هدايات، الرقي، الأخلاق، القيم، الإنسانية، الحجرات.

المقدمة

إن كتاب الله تعالى أنزله الله على عبده ورسوله محمد ﷺ خير الأنبياء والمرسلين، بواسطة جبريل عليه السلام أفضل الملائكة، وجاء هذا الكتاب بفضل وخيريِ الدنيا والآخرة، وأودع الله تعالى في هذا الكتاب النور والهدى والرشاد، وحذر فيه من الغي والضلال والفساد... فجاء هذا الكتاب منهاج حياة في كل الأزمان، من اعتصم بحبله فما ضل، ومن سار على نهجه فما زل، يجد من تلاه وتدبره أنه يستحيل قوله من لدُنْ بشر! فقد حوى بين دفتيه ما لا يتأتى لإنس ولا جان أن يأتي ولو بسورة من مثله!

ومن عظيم شأن هذا الكتاب أنه تجلى فيه البناء القيمي والأخلاقي للأفراد والمجتمعات، فترى فيه على سبيل المثال: محاربة الفساد بشتى أنواعه؛ كالسرقة، وتطفيف الموازين، والفواحش من زنًى ولواط... وغيرها من الآفات التي تهدد المجتمعات. وجاء فيه تهذيب النفس الإنسانية ودعوتها إلى الزكاة والنماء والعطاء، فترى فيه تارة حثًّا على الصدقة على الفقراء والمساكين، وتارة ترى فيه أمرًا بالإحسان إلى الوالدين وطاعتهما -حتى لو كانا مشركين- في غير معصية الله تعالى، وتارة أخرى ترى فيه حثًّا على الصدق والأمانة. وهذه الأخلاق والقيم التي جاءت في كتاب الله تعالى لو كتبت فيها المجلدات وأُلفت فيها الموسوعات لما وفتها ولا جلّتها حق الجلاء؛ ومن أجل ذلك أحببت في هذا البحث أن أكشف عن بعض الجوانب الأخلاقية والقيم الإنسانية في كتاب الله تعالى من خلال سورة الحجرات، مع بيان أثر هدايات القرآن الكريم في رقيها وبنائها.

أهمية البحث:

تجلية الهدايات القرآنية في الرقي الأخلاقي وبناء القيم الإنسانية من خلال سورة الحجرات، والتي برز فيها هذا الجانب بشكل كبير.

أهداف البحث:

1- إظهار جانب الرقي الأخلاقي في التعاملات الإنسانية من خلال دلالات السياق القرآني في سورة الحجرات.

2- تسليط الضوء على القيم الإنسانية التي دلت عليها آيات القرآن الكريم من خلال سورة الحجرات.

3- بيان الأسلوب القرآني -من خلال سورة الحجرات- في معالجة قضايا الأخلاق والقيم الإنسانية.

مشكلة البحث:

استمداد الهدي القرآني في معالجة قضايا الأخلاق والقيم الإنسانية في واقعنا المعاصر، والحث على التمثل بالأخلاق الفاضلة التي دعا إليها القرآن الكريم، والتي لها الأثر البالغ في تقدم الأمم وازدهار حضاراتها.

الدراسات السابقة:

هنالك مجموعة من الدراسات السابقة حول سورة الحجرات، إلا أنها تختلف في موضوعاتها ومضامينها عن هذا البحث، وهذه طائفة منها:

- التربية الأخلاقية في ضوء سورة الحجرات، للدكتور: عبد السلام حمدان اللوح.

بحث مقدم إلى المؤتمر التربوي الأول: (التربية في فلسطين وتغيرات العصر)، لعام: 2004م.

- التربية الوقائية وأساليبها في سورة الحجرات وتطبيقاتها التربوية، إعداد الطالب: خالد ابن عوض الفعر.

رسالة ماجستير - جامعة أم القرى، لعام: 1421هـ.

- سورة الحجرات منهج تربوي لمجتمع مثالي، إعداد الطالب: عبد الحميد عمر الأمين.

رسالة ماجستير - جامعة الملك عبدالعزيز، لعام: 1396هـ.

- منهج الدعوة الإسلامية في البناء المجتمعي على ضوء ما جاء في سورة الحجرات، إعداد الطالب: محمد الأمين الأنصاري.

رسالة ماجستير - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لعام: 1402هـ.

وتتميز هذه الرسالة عن الدراسات السابقة بأنها تعتمد على المنهج الاستنباطي التدبري المستخرج من دلالات الآيات، والذي يبين هدايات القرآن الكريم الدالة على الأخلاق والقيم الإنسانية الفاضلة.

هيكل البحث:

اشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، على النحو الآتي:

التمهيد: التعريف بسورة الحجرات وبيان ما ورد في آياتها من أسباب النزول.

المبحث الأول: التوجيهات الأخلاقية والقيميّة التي دعت إليها سورة الحجرات.

المطلب الأول: تعظيم الله ورسوله ﷺ.

المطلب الثاني: رعاية أدب الخطاب مع الرسول ﷺ.

المطلب الثالث: التثبت من الأخبار المنقولة.

المطلب الرابع: الإصلاح بين المؤمنين.

المطلب الخامس: النهي عن السخرية واللمز والنبز.

المطلب السادس: النهي عن سوء الظن والتجسس والغيبة.

المطلب السابع: تقرير مبدأ المساواة والتفاضل على أساس التقوى.

المبحث الثاني: الأخلاق والقيم الإنسانية المستنبطة من سورة الحجرات وأثر الهدايات القرآنية في رقيها وبنائها.

المطلب الأول: التوقير والاحترام.

المطلب الثاني: أدب المخاطبة والحوار.

المطلب الثالث: التأني والصبر.

المطلب الرابع: الصدق والأمانة.

المطلب الخامس: الإصلاح والعدل والأخوة في الدين.

المطلب السادس: آداب التعامل بين الناس.

المطلب السابع: نبذ العنصرية.

الخاتمة وفيها: أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الوصفي للموضوعات التي تحدثت عنها الآيات في سورة الحجرات، مع استنباط الفوائد التدبرية التي تدعو إليها الآيات من الأخلاق والقيم الفاضلة التي ينبغي أن يتحلى بها أفراد المجتمع المسلم.

التمهيد: التعريف بسورة الحجرات وبيان ما ورد في آياتها من أسباب النزول.

أولًا: التعريف بسورة الحجرات:

سورة الحجرات هي من السور المدنية بإجماع، وكلمها ثلاث مئة وثلاث وأربعون كلمة، وحروفها ألف وأربع مئة وستة وسبعون حرفًا، وهي ثماني عشرة آية، ونزلت في السنة التاسعة من الهجرة الشريفة، وسميت في جميع المصاحف وكتب السنة والتفسير بسورة الحجرات وليس لها اسم غيره، ووجه تسميتها أنها ذكر فيها لفظ الحجرات، ونزلت في قصة نداء بني تميم رسول الله ﷺ من وراء حجراته (الداني، 1994م، صفحة (230/1) (القرطبي، 1964م، صفحة (300/16) (ابن عاشور، 2000م، صفحة (187/26).

ثانيًا: أسباب النزول الواردة في آيات سورة الحجرات:

وذِكر أسباب النزول في آيات السورة، والتقديم لها هنا من الأهمية بمكان؛ إذ لا يمكن الربط بين الأخلاق والقيم الإنسانية المستنبطة منها إلا بعد معرفة أسباب النزول، وسأذكرها هنا تباعًا بالتسلسل حسب ترتيب الآيات في السورة - على ما جاء في بعض كتب السنة، وكتب أسباب النزول:-

1-سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: 1-3]

جاء في صحيح البخاري عن ابن أبي مليكة، قال: (كاد الخيّران أن يهلكا -أبو بكر وعمر رضي الله عنهما-، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر... فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: (ما أردت إلا خلافي) قال: (ما أردت خلافك)، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾ الآية...) (البخاري، 1414هـ، صفحة (1833/4) .

2- سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾

[الحجرات: 4-5].

عن زيد بن أرقم ﷺقال: (أتى ناس النبي ﷺ فجعلوا ينادونه وهو في الحجرة: (يا محد يا محد)، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾) (الواحدي، 1992م، صفحة 387) وهؤلاء من وفد بني تميم.

3- سبب نزول قوله تعالى: سمحيَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ سجى [الحجرات: 6].

(نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق مصدقًا، وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع القوم به تلقوه تعظيمًا لله تعالى ولرسوله ﷺ، فحدّثه الشيطان أنهم يريدون قتله، فهابهم فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ وقال: (إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي)، فغضب رسول الله ﷺ وهمّ بغزوهم، فبلغ القوم رجوعه، فأتوا رسول الله ﷺ، وقالوا: (سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلنا من حق الله تعالى، فبدا له في الرجوع، فخشينا أن يكون إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك بغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله)، فأنزل الله تعالى:

سمحيَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ سجى يعني : الوليد بن عقبة) (الواحدي، 1992م، صفحة 390).

4-سبب نزول قوله تعالى: سمح وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَسجى [الحجرات: 9].

عن أنس بن مالك ؓ قال: (قيل للنبي ﷺ: (لو أتيت عبد الله بن أبيّ؟)، قال: فانطلق إليه وركب حمارًا، وانطلق المسلمون وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي ﷺ، قال: (إليك عني فوالله لقد آذاني نتن حمارك). قال: فقال رجل من الأنصار: (والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحًا منك) -قال:- فغضب لعبد الله رجل من قومه -قال:- فغضب لكل واحد منهما أصحابه -قال:- فكان بينهم ضرب بالجريد وبالأيدي وبالنعال -قال:- فبلغنا أنها نزلت فيهم: سمح وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا سجى) (مسلم، 1433هـ، صفحة (183/5).

5- سبب نزول قوله تعالى: سمحيَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَسجى [الحجرات: 11].

جاء في سنن الترمذي عن أبي جبيرة بن الضحاك: (كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها، فعسى أن يكره، قال: فنزلت سمحوَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِسجى) صححه الألباني (الترمذي، 1395هـ، صفحة (388/5).

6-سبب نزول قوله تعالى: سمحيَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ سجى [الحجرات: 13].

أورد الواحدي في كتابه: (أسباب النزول) عن ابن أبي مليكة قال: (لما كان يوم الفتح رقي بلال ؓ ظهر الكعبة، فقال بعض الناس: (يا عباد الله أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة ؟) فقال بعضهم: (إن يسخط الله هذا يغيره)، فأنزل الله تعالى: سمحيَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ سجى) (الواحدي، 1992م، صفحة 395).

7- سبب نزول قوله تعالى: سمحيَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَسجى [الحجرات: 17].

جاء في سنن النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (قدم وفد بني أسد على رسول الله ﷺ فتكلموا، فقالوا: (قاتلتك مضر ولسنا بأقلهم عددًا، ولا أكلهم شوكة، وصلنا رحمك)، قال لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: "تكلموا هكذا"، قالوا: (لا)، قال: "إن فقه هؤلاء قليل، وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم" ... فأنزل الله جل وعز: سمحيَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ سجى الآية... (النسائي، 1991م، صفحة (467/6) .

فهذه طائفة من أسباب النزول التي أوردها العلماء في هذه الآيات، وبعضهم أسهب في ذكر أسباب النزول الواردة في الآيات السابقة، وقد اقتصرت على أحدها طلبًا للاختصار، كما أني لم أتطرق إلى ما فيها من صريح السببية مما يحتملها إذ ليس هذا موضعه.

المبحث الأول: التوجيهات الأخلاقية والقيميّة التي دعت إليها سورة الحجرات.

وسأتناول في هذا المبحث التوجيهات الأخلاقية والقيميّة التي جاء ذكرها في الآيات على الترتيب، والتي تتضمن ما سيتم استنباطه من أخلاق وقيم إنسانية في المبحث الثاني بإذن الله تعالى، وهذه التوجيهات كالتالي:

المطلب الأول: تعظيم الله ورسوله ﷺ.

وهذا تنطق به الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: 1]، والمراد بقوله تعالى: (لا تقدموا) أي: لا تتقدموه، والتقدم: من القدم، ويأتي بمعنى السابقة في الأمر، والمقصود: لا تسبقوه بالقول والحكم، بل افعلوا ما يرسمه لكم كما يفعله العباد المكرمون، وهم الملائكة حيث قال تعالى: ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ [الأنبياء: 27]، والآية الأولى متضمنة لأمر التعظيم والأدب مع الله تعالى، ومع رسول الله ﷺ واحترامه وإكرامه، فأمر الله تعالى عباده المؤمنين، بما يقتضيه الإيمان بالله وبرسوله ﷺ، من امتثال أوامر الله سبحانه، واجتناب نواهيه، وأن يكونوا ماشين خلف أوامر الله جل وعلا، متبعين لسنة رسول الله ﷺ في جميع أمورهم، و أن لا يتقدموا بين يدي الله ورسوله ﷺ، ولا يقولوا حتى يقول، ولا يأمروا حتى يأمر، فإن هذا هو حقيقة الأدب الواجب مع الله ورسوله ﷺ، وهو عنوان سعادة العبد وفلاحه، وبفواته تفوته السعادة الأبدية، والنعيم السرمدي، وفي هذا النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول ﷺ على قوله، فإنه متى استبانت سنة رسول الله ﷺ، وجب اتباعها، وتقديمها على غيرها، كائنًا ما كان، وهذا يشمل جميع أمور العباد في دينهم ودنياهم، فلا قول يعلو على قوله، ولا أمرَ يعلو على أمره ﷺ، فإنما هو عليه الصلاة السلام المبلغ عن الله تعالى المشرّع للعباد، فمتى ما قُدّم قولٌ غير قول رسول الله ﷺ فليراجع المرء إيمانه، فما كان ذلك إلا لهوًى أو شبهة.

والأمثلة مستفيضة على ما يقدمه الناس اليوم على قول رسول الله ﷺ، فأبواب الهوى شتى، ومزالق الشبهات يسيرة، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

وعند النظر في سبب النزول وهو في قصة وفد بني تميم [(2)] وما جرى فيها، أرشد الله عباده إلى حقه عليهم وحق رسوله ﷺ من التعظيم والتوقير، والنهي عن إبرام شيء دون إذن من رسول الله ﷺ، فذكر قبله اسم الله للتنبيه على أن مراد الله إنما يعرف من قِبل رسول الله ﷺ، وفي هذه الآية توطئة للنهي عن رفع الأصوات عند رسول الله ﷺ، والجهر له بالقول، وندائه من وراء الحجرات (منظور، 1414هـ، صفحة (465/12) (الأصبهاني، 1412هـ، صفحة 611) (السعدي، 1420هـ، صفحة 799) (ابن عاشور، 2000م، صفحة (181/26)، وهذا ما سيتناوله المطلب الآتي:

المطلب الثاني: رعاية أدب الخطاب مع الرسول ﷺ.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَـٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات: 2-5]، في هذه الآية جاء النهي عن رفع الأصوات بحضرة

(2) انظر: ص 7-8.

رسول الله ﷺ، كما حصل في قصة سبب النزول الواردة[3] ، والنهي هنا معنيٌّ به التجاوز في كيفية القول عند النبي عليه الصلاة والسلام، وجاء بعد النهي عن التجاوز في نفس القول والفعل، وإعادة النداء: (يا أيها الذين آمنوا) ، مع قرب العهد به في الآية السابقة؛ للمبالغة في الإيقاظ والتنبيه، والإشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشأنه، أي: لا تبلغوا بأصواتكم وراء حدّ يبلغه عليه الصلاة والسلام بصوته. ويدخل في معنى الآية الكريمة النهي عن رفع الصوت عند قبره ﷺ؛ لأنه صلوات ربي وسلامه عليه يوقر حيًّا وميتًا -بأبي هو وأمي ﷺ-. وروي أن عمر بن الخطاب ﷺ سمع صوت رجلين في مسجد رسول الله ﷺ قد ارتفعت أصواتهما، فجاء، فقال: (أتدريان أين أنتما؟) ثم قال: (من أين أنتما؟) قالا: (من أهل الطائف). فقال: (لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربًا).

وتجدر الإشارة إلى ما بينته الآيات من أن النبي عليه الصلاة والسلام لا ينادى ويخاطب كما يكون بين الأقران من عدم التحرج في رفع الصوت، وكذلك لا ينادى ويخاطب باسمه المجرد، بل ينادى بوصف النبوة والرسالة؛ إجلالًا وإعظامًا، ويفهم أيضًا وجوب كون أصواتهم دون صوته عليه الصلاة والسلام، فأيًّا ما كان يكون المآل أمَرهم أن يجعلوا أصواتهم أخفض من صوته ﷺ، وأن يتعهدوا في مخاطبته اللين القريب من الهمس، كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم، وأن يحافظوا على مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها، فرفع الصوت لا يليق بمقام النبوة وعظيم قدرها وهيبتها؛ لذلك كان جزاء من خالف ذلك حبوط عمله. واختلف العلماء هنا بالمراد بحبوط العمل في الآية، وذلك تبعًا للاختلاف النحوي في إعرابها، فقال بعض نحويي الكوفة: معناه: لا تحبط أعمالكم، قالوا: وفيه الجزم والرفع إذا وضعت (لا) مكان (أن) في الآية: (أن تحبط أعمالكم). وقال بعض نحويي البصرة: معنى: (أن تحبط أعمالكم) أي: مخافة أن تحبط أعمالكم، وقد يقال: أُسند الحائط أن يميل، وعلى القول الأول فسر العلماء حبوط العمل هنا بمعنى البطلان بالكفر المؤدي إليه عدم احترام مقام النبوة الشريفة، وإن كان رفع الصوت فوق صوت رسول الله ﷺ سببًا لحبوط الأعمال، فما الظن برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به؟

ثم أثنى الله تبارك وتعالى على من غض صوته عند رسول الله ﷺ إجلالًا له، فهؤلاء هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، أي: اختبرها وأخلصها كما يُمتحَن الذهب بالنار فيخرج خالصه، فكانت قلوبهم موطن صلاح للتقوى، ثم وعدهم المغفرة لذنوبهم، المتضمنة لزوال الشر والمكروه، والأجر العظيم، الذي لا يعلم وصفه إلا الله تعالى؛ لذا جاء الجزاء نكرةً مبهمًا؛ للدلالة على غاية الاعتداد والرضا بما فعل الذين وقّروا رسول الله ﷺ، والإعلام بمبلغ عزة رسول الله ﷺ وقدر شرف منزلته.

وعندما نادى جفاة العرب رسول الله ﷺ حينما وفدوا عليه فوجدوه في بيته وحجرات نسائه، كما جاء ذكره في سبب النزول[4] ، ولم يصبروا ويتأدبوا حتى يخرج، حينما كرروا النداء عليه ﷺ حتى يخرج إليهم، ذمهم الله تعالى بعدم العقل، حيث لم يعقلوا عن الله الأدب مع رسوله ﷺ واحترامه، كما أن من العقل وعلامته استعمال الأدب، ثم دعاهم الله تعالى إلى التوبة والإنابة عما صدر منهم، فختمت الآية بقوله جل وعلا: (والله غفور رحيم). (الطبري، 1420هـ، صفحة (279/22) (الكشاف، 1407هـ، صفحة (356/4) (ابن كثير، 1999م، الصفحات (368/6-386) (السعود، ن.

[3] انظر: ص 7-8.

[4] انظر: ص 8.

د.، صفحة (116/8) (الألوسي، 1415هـ، صفحة (288/13) (السعدي، 1420هـ، صفحة 799) (ابن عاشور، 2000م، صفحة (186،187/26) (بن حميد، ن.د.، صفحة (148/2).

وهذا الأدب المتقدم ذكره مع رسول الله ﷺ لشخصه وسنته حيًّا وميتًا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

المطلب الثالث: التثبت من الأخبار المنقولة.

قال تعالى: سمحيَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَسجى [الحجرات: 6]، وهنا جاء النداء في هذه السورة للمرة الثالثة، والذي كان بوصف الإيمان المسترعي للانتباه والعقل، جاء في هذه الآية التوجيه الرباني في حماية المجتمعات من الأخبار الكاذبة بالأمر بالاستيثاق منها، وورد في هذه الآية قصة سبب النزول الآنف ذكرها[(5)]، وكيف أن الأخبار الكاذبة قد تكون سببًا للاقتتال!

ووصف الله تبارك وتعالى من يشيع الخبر الكاذب بالفسق، ولا سيما أن الوليد هو من افترى وكذب في أصل الخبر، وهذا حال كل من يكون مبدأ للخبر الكاذب الملفق، و(الفسق) أعم من الكفر، ويقع بالقليل من الذنوب والكثير، لكن تعورف فيما كانت الذنوب فيه كثيرة، وأكثر ما يقال: (الفاسق) لمن التزم حكم الشرع وأقر به، ثم أخل بجميع أحكامه أو ببعضها، وتنكير فاسق للتعميم؛ لأنه نكرة في سياق الشرط فتفيد العموم، والنبأ لا يطلق على مجرد الخبر، إلا إذا كان ذا فائدة عظيمة.

ثم أمر الله تبارك وتعالى المؤمنين في حال إن جاءهم من ينبئهم بأمر أن يتبينوا، والبيان: ما يتبين به الشيء من الدلالة وغيرها، وبان الشيء بيانًا: اتضح فهو بيّن، وجاء في قراءة عامة أهل المدينة: (فتثبتوا)، فقراءة الثاء أي: تأنَّوا وتوقفوا حتى تتيقنوا صحة الخبر، وقراءة: (فتبينوا) أي: فافحصوا واكشفوا، وكلتا القراءتين مدارهما في المعنى واحد.

وبعد ما جاء الأمر بالتبيّن والتثبت من الأنباء، جاء تعليله في قوله تعالى: (أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) أي: لئلا تصيبوا قومًا -أي قوم كانوا- بجهالة ملتبسين بجهالة لحالهم، ومآله: جاهلين حالهم، فتصيروا بعد ظهور براءتهم عما رموا به على ما فعلتم في حقهم نادمين مغتمين غمًّا لازمًا متمنين أنه لم يقع؛ وما كان ذلك إلا للعلم بمغبة الظلم والافتراء، وما يتبع ذلك من البلاء والمحن، حينما يُتعجل بالحكم بما جاء من أنباء دون تريث وتروٍّ، واستطلاع للأمر وتبين وتثبت (الطبري، 1420هـ، صفحة (286/22) (الجوهري، 1407هـ، صفحة (2083/5) (ابن زنجلة، 1402هـ، صفحة 209) (الأصبهاني، 1412هـ، صفحة 636،788) (الخازن، 1415هـ، صفحة (187/4) (الألوسي، 1415هـ، الصفحات (297/13-299).

ولأجل ذلك حريٌّ بالمؤمن أن يكون ديدنه في ما يرد من أنباء ويشاع من أخبار أن يتمثل قول الله تعالى: (فتبينوا)...

[(5)] انظر: ص 8.

المطلب الرابع: الإصلاح بين المؤمنين.

قال تعالى: سمحوَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ سجى [الحجرات: 9-10]، جاء في الآية السابقة من قوله تعالى: سمح أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ سجى [الحجرات: 6]، وقد تقع هذه الإصابة بين طائفتين من المؤمنين؛ لأن من الأخبار الكاذبة أخبار النميمة بين القبائل، وخطرها أكبر مما يجري بين الأفراد، والتبيين فيها أعسر، وقد لا يحصل التبيين إلا بعد أن تستعر نار الفتنة ولا تجدي الندامة.

والآية متضمنة لنهي المؤمنين عن أن يبغي بعضهم على بعض، فالبغي ظلم واعتداء، وأنه إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين، فإن على غيرهم من المؤمنين أن يتلافوا هذا الشر الكبير بالإصلاح بينهم، والتوسط بذلك على أكمل وجه يقع به الصلح، ويسلكوا الطريق الموصلة إلى ذلك، فإن صلحتا، فبها ونعمت، (فإن بغت إحداهما على الأخرى) وأبت إحدى الطائفتين إلا البغي والعدوان؛ جاء في قوله تعالى: (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) الأمر بوجوب قتال الفئة الباغية؛ لأن هذا حكم بين الخصمين، والقضاء بالحق واجب؛ لأنه لحفظ حق المحق، ولأن ترك قتال الفئة الباغية يجر إلى استرسالها في البغي، وإضاعة حقوق المبغي عليها في الأنفس والأموال والأعراض، والله لا يحب الفساد؛ ولأن ذلك يجرّئ غيرها على أن تأتي مثل صنيعها، فمقاتلتها زجر لغيرها، وهو وجوب كفاية، ويتعين بتعيين الإمام جيشًا يوجهه لقتالها؛ إذ لا يجوز أن يلي قتال البغاة إلا الأئمة والخلفاء، وجعل الفيء إلى أمر الله غاية للمقاتلة، أي: يستمر قتال الطائفة الباغية إلى غاية رجوعها إلى أمر الله، وأمر الله هو ما في الشريعة من العدل والكف عن الظلم، أي: حتى تقلع عن بغيها، فإن أقلعت أمر الله سبحانه بالإصلاح بين الطائفتين بالعدل والقسط في قوله تعالى: (وأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا) ، والعدل: هو ما يقع التصالح عليه بالتراضي والإنصاف، وأن لا يضر بإحدى الطائفتين، فإن المتالف التي تلحق كلتا الطائفتين قد تتفاوت تفاوتًا شديدًا، فتجب مراعاة التعديل.

وقيّد الإصلاح المأمور به ثانيًا بقيد أن تفيء الباغية بقيد (العدل)، ولم يقيد الإصلاح المأمور به، وهذا القيد يقيد به أيضًا الإصلاح المأمور به أولًا؛ لأن القيد من شأنه أن يعود إليه؛ لاتحاد سبب المطلق والمقيد، أي: يجب العدل في صورة الإصلاح، فلا يضيعوا بصورة الصلح منافع عن كلا الفريقين، إلا بقدر ما تقتضيه حقيقة الصلح من نزول عن بعض الحق بالمعروف.

ثم أمر المسلمين بالعدل بقوله: (وأقسطوا) أمرًا عامًّا؛ تذييلًا للأمر بالعدل الخاص في الصلح بين الفريقين، فشمل هذا الأمر العام أن يعدلوا في صورة ما إذا قاتلوا التي تبغي، ثم قال: (فإن فاءت فأصلحوا بينهما) ، وهذا إصلاح ثانٍ بعد الإصلاح المأمور به ابتداءً، ومعناه: أن الفئة التي خضعت للقوة وألقت السلاح تكون مكسورة الخاطر شاعرة بانتصار الفئة الأخرى عليها، فأوجب على المسلمين أن يصلحوا بينهما بترغيبهما في إزالة الإِحَنِ والرجوع إلى أخوة الإسلام؛ لئلا يعود التنكر بينهما؛ ولذا جاء التعليل لإقامة الإصلاح بين المؤمنين حين الشقاق في قوله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)، فبني هذا التعليل للإصلاح على اعتبار حال المسلمين بعضهم مع بعض كحال الإخوة.

وأشارت جملة: (إنما المؤمنون إخوة) إلى وجه وجوب الإصلاح بين الطائفتين المتباغيتين منهم، ببيان أن الإيمان قد عقد بين أهله من النسب الموحى ما لا ينقص عن نسب الأخوة الجسدية؛ ولما كان المتعارف بين الناس أنه إذا نشبت مشاقة بين الأخوين لزم بقية الإخوة أن يتناهضوا في إزاحتها مشيًا بالصلح بينهما، فكذلك شأن المسلمين إذا حدث شقاق بين طائفتين منهم، أن ينهض سائرهم بالسعي بالصلح بينهما.

ثم جاء الخطاب في نهاية الآية: (واتقوا الله لعلكم ترحمون) لجميع المؤمنين، فيشمل الطائفتين الباغية والمبغي عليها، ويشمل غيرهما ممن أمروا بالإصلاح بينهما ومقاتلة الباغية، فالتقوى لكلهم بالوقوف عند ما أمر الله به كلًّا مما يخصه، وحين امتثالهم بالتقوى، ترجى لهم الرحمة من الله، فتجري أحوالهم على الاستقامة والصلاح، وإنما اختيرت الرحمة؛ لأن الأمر بالتقوى واقع إثر تقرير حقيقة الأخوة بين المؤمنين، وشأن تعامل الإخوة الرحمة، فيكون الجزاء عليها من جنسها (السعدي، 1420هـ، صفحة 800) (ابن عاشور، 2000م، الصفحات (198/26-204).

ومما تقدم يتبين ما للإصلاح بين المؤمنين من عظيم الشأن؛ إذ به تحفظ لحمة الأخوة في الدين، وتعم المودة والرحمة بين المسلمين، ويقام العدل، ويدفع الظلم والعدوان.

المطلب الخامس: النهي عن السخرية واللمز والنبز.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: 11]، هذه الآية والتي بعدها -التي هي موضع البحث في المطلب التالي بإذن الله تعالى- فيهما تأديب للأمة؛ لما كان فيه أهل الجاهلية من هذه الأوصاف الذميمة التي وقع النهي عنها، والتي لا بد للمسلم أن ينتبذها بعيدًا عنه في خُلقه وسمته، فهي ليست من أخلاق أهل الإسلام.

وافتتحت الآية أيضًا بالنداء بوصف الإيمان؛ للاهتمام بهذا الغرض، ثم أُتبع ذلك بالنهي في قوله تعالى: (لا يسخر قوم من قوم) أي: منكم (من قوم) آخرين أيضًا منكم، وقوله تعالى: (عسى أن يكونوا خيرا منهم) تعليل للنهي أو لموجبه، أي: عسى أن يكون المسخور منهم خيرًا عند الله تعالى من الساخرين، و(القوم) مختص بالرجال؛ لأنهم القُوَّام على النساء، وأما تعميمه للفريقين الرجال والنساء كما سيأتي في تتمة الآية؛ فهو من باب التغليب، أو لأنهن توابع، واختيار الجمع: لغلبة وقوع السخرية في المجموع، والتنكير: إما للتعميم، أو للقصد إلى نهي بعضهم عن سخرية بعض؛ لما أنها مما يجري بين بعض وبعض.

ثم أفرد النساء بالذكر في قوله تعالى: (ولا نساء من نساء) ؛ لأن السخرية منهن أكثر، وأيضًا قال كما الشأن في أمر الرجال: (عسى أن يكن خيرًا منهن)، أي: عسى أن يكون المسخور منهن خيرًا من الساخرات؛ فإن مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والأشكال ولا الأوضاع والأطوار التي عليها يدور أمر السخرية غالبًا، بل إنما هو الأمور الكامنة في القلوب، فلا يجترئ أحد على استحقار أحد، فلعله أجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى، فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله تعالى.

وبعد أن نهاهم تبارك وتعالى عما يُذم من السخرية والاستهزاء بعضهم ببعض، جاء النهي عما يذم أيضًا، فقال تعالى: (ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب)، واللمز هو: الاغتياب وتتبع المعايب، يقال: لمزه يلمزه، والمعنى: ولا يعب بعضكم بعضًا، فإن المؤمنين كنفس واحدة، أو لا تفعلوا ما تلمزون به فإن من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز

نفسه، واللمز: الطعن باللسان، أما النبز فهو: التلقيب، والجمع الأنباز، يقال: فلان ينبز بالصبيان، أي: يلقبهم، والنبز لقب السوء، وتنابزوا بالألقاب، أي: لقب بعضهم بعضًا، وقد كان هذا الحال في المدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، تنزلت هذه الآية بهذا الشأن[6].

وحين ذكر تبارك وتعالى هذه المنهيات، ذيلت بقوله عز وجل: (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) وفيها تعريض قوي بأن ما نهوا عنه فسوق وظلم، إذ لا مناسبة بين مدلول هذه الجملة وبين الجمل التي قبلها؛ لولا معنى التعريض بأن ذلك فسوق، وذلك مذموم ومعاقب عليه، فدل قوله: (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) على أن ما نهوا عنه مذموم؛ لأنه فسوق يعاقب عليه، ولا تزيله إلا التوبة، حين يقال للمسلم: يا يهودي أو يا نصراني، أو يعير بكفره بعد ما أسلم، فجاء ختام الآية مبيِّنًا أن السخرية واللمز والنبز ذنوب لا بد من التوبة منها، قال تعالى: (ومن لم يتب فأولائك هم الظالمون)، فمن لم يتب عما نهي عنه، فهؤلاء ظلموا أنفسهم بتعريضها لعذاب الله تعالى بسبب إصرارهم على المعصية (الأصبهاني، 1412هـ، صفحة 747،788) (القرطبي، 1964م، الصفحات (16/324، 326-328) (أبو حيان، 1420هـ، صفحة (9/ 505، 516، 517) (السعود، ن. د.، صفحة (8/ 121) (ابن عاشور، 2000م، صفحة (26/ 208).

وهذه المساوئ التي نهت عنها الآية إن تفشت بين الأفراد، أدت بهم إلى الشقاق والاختلاف، والحقد والضغينة، فجاءت هذه الآية وغيرها من آيات السورة لتعزيز وحدة الأمة، والأمر باجتناب ما يؤدي إلى تفرقها.

المطلب السادس: النهي عن سوء الظن والتجسس والغِيبة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات: 12]، أعيد النداء خامس مرة؛ لاختلاف الغرض والاهتمام به؛ وذلك أن المنهيات المذكورة بعد هذا النداء من جنس المعاملات السيئة الخفية التي لا يتفطن لها، وهي طريق إلى السخرية واللمز والنبز.

وفي قوله تعالى: (اجتنبوا كثيرا من الظن) تأديب عظيم يبطل ما كان فاشيًا في الجاهلية من الظنون السيئة والتهم الباطلة، وأن الظنون السيئة تنشأ عنها الغَيرة المفرطة، والمكايد، والاغتيالات، والطعن في الأنساب، والمبادأة بالقتال؛ حذرًا من اعتداء مظنون ظنًّا باطلًا.

ولما جاء الأمر في هذه الآية باجتناب كثير من الظن، عُلم أن الظنون الآثمة غير قليلة، فوجب التمحيص والفحص لتمييز الظن الباطل من الظن الصادق.

والمراد بالظن هنا: الظن المتعلق بأحوال الناس، وحذف المتعلق لتذهب نفس السامع إلى كل ظن ممكن أن يكون إثمًا، وجملة (إن بعض الظن) استئناف بياني؛ لأن قوله: (اجتنبوا كثيرا من الظن) يستوقف السامع ليتطلب البيان، فأُعلموا أن بعض الظن جرم، وهذا كناية عن وجوب التأمل في آثار الظنون، ولم يأتِ البيان لأنواع الكثير من الظن المأمور باجتنابه؛ لأنها أنواع كثيرة جدًّا، فنبّه على عاقبتها وترك التفصيل؛ لأن في إبهامه بعثًا على مزيد الاحتياط.

ومعنى كونه إثمًا: أنه إما أن ينشأ عن ذلك الظن عمل أو مجرد اعتقاد، فإن كان قد ينشأ عنه عمل من قول أو فعل كالاغتياب والتجسس وغير ذلك، فليقدّر الظان أن ظنه

---

[6] انظر: ص9.

كاذب، ثم لينظر بعد في عمله الذي بناه عليه، فيجده قد عامل به من لا يستحق تلك المعاملة من اتهامه بالباطل، فيأثم مما طوى عليه قلبه لأخيه المسلم، والظن الباطل إذا تكررت ملاحظته ومعاودة جولانه في النفس قد يصير علمًا راسخًا في النفس، فتترتب عليه الآثار بسهولة، فتصادف من هو حقيق بضدها، كما تقدم في قوله تعالى: سمح أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَسجى [الحجرات: 6].

والاجتناب: افتعال من جنبه وأجنبه، إذا أبعده، أي جعله جانبًا آخر، ومعنى الأمر باجتناب كثير من الظن: الأمر بتعاطي وسائل اجتنابه، فإن الظن يحصل في خاطر الإنسان اضطرارًا عن غير اختيار، فلا يعقل التكليف باجتنابه، وإنما يراد الأمر بالتثبت فيه وتمحيصه والتشكك في صدقه إلى أن يتبين موجبه بدون تردد، أو برجحان، أو يتبين كذبه فتكذّب نفسك فيما حدثتك، وهذا التحذير يراد منه مقاومة الظنون السيئة بما هو معيارها من الأمارات الصحيحة.

وقد عُلم من قوله: (كثيرا من الظن) وتبيينه بأن بعض الظن إثم، أن بعضَ الظن ليس إثمًا، وأنا لم نؤمر باجتناب الظن الذي ليس بإثم؛ لأن (كثيرا) وصف، فمفهوم المخالفة منه يدل على أن كثيرًا من الظن لم نؤمر باجتنابه، وهو الذي يبينه (إن بعض الظن إثم) أن بعض الظن ليس إثمًا، فعلى المسلم أن يكون معياره في تمييز أحد الظنين من الآخر أن يعرضه على ما بينته الشريعة في تضاعيف أحكامها من الكتاب والسنة، وما أجمعت عليه علماء الأمة، وما أفاده الاجتهاد الصحيح وتتبع مقاصد الشريعة، فمنه ظن يجب اتباعه كالحذر من مكايد العدو في الحرب، وكالظن المستند إلى الدليل الحاصل من دلالة الأدلة الشرعية.

ثم جاء النهي عن سبل الظن المفضية إليه، فقال تعالى: (ولا تجسسوا)، فالتجسس من آثار الظن؛ لأن الظن يبعث عليه حين تدعو الظان نفسه إلى تحقيق ما ظنه سرًا فيسلك طريق التجسس، فحذرهم الله من سلوك هذا الطريق للتحقق، ليسلكوا غيره إن كان في تحقيق ما ظن فائدة.

والتجسس: هو البحث عن الأخبار، ومنه سمي الجاسوس، والتجسس من المعاملة الخفية عن المتجَسَّس عليه، ووجه النهي عنه أنه ضرب من الكيد والتطلع على العورات، وقد يرى المتجسِّس من المتجَسَّس عليه ما يسوؤه، فتنشأ عنه العداوة والحقد، وذلك ثلم للأخوة الإسلامية؛ لأنه يبعث على إظهار التنكر، ثم إن اطّلع المتَجَسَّس عليه على تجسس الآخر ساءه، فنشأ في نفسه كره له، وانثلمت الأخوة ثلمة أخرى كما وُصف في حال المتَجَسِّس، ثم يبعث ذلك على انتقام كليهما من أخيه.

وإذ قد اعتبر النهي عن التجسس من فروع النهي عن الظن، فهو مقيد بالتجسس الذي هو إثم أو يفضي إلى الإثم، وإذا علم أنه يترتب عليه مفسدة عامة صار التجسس كبيرة، ومنه التجسس على المسلمين لمن يبتغي الضر بهم.

فالمنهي عنه هو التجسس الذي لا ينجر منه نفع للمسلمين أو دفع ضر عنهم، فلا

يشمل التجسس على الأعداء، ولا تجسس الشرط على الجناة واللصوص.

ومما يفضي إليه سوء الظن (الغِيبة)، وجاء النهي عنها في الآية، قال تعالى: (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه)، والغِيبة جاء تعريفها في السنة، فعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: "أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: (الله ورسوله أعلم)، قال: ذكرك أخاك بما يكره ..." (مسلم، 1433هـ، صفحة (8/ 21) ، فالاغتياب ذكر أحد غائب بما لا يحب أن يذكر به، وقال سبحانه: (ولا يغتب بعضكم بعضا) دون أن يقول: اجتنبوا

الغيبة؛ لقصد التوطئة للتمثيل الوارد في قوله: (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه)؛ لأنه لما كان ذلك التمثيل مشتملًا على جانب فاعل الاغتياب ومفعوله مهد له بما يدل على ذاتين؛ لأن ذلك يزيد التمثيل وضوحًا.

والاستفهام في (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه)تقريري؛ لتحقق أن كل أحد يقر بأنه لا يحب ذلك، ولذلك أجيب الاستفهام بقوله: (فكرهتموه)، وهنا مثلت الغيبة بأكل لحم الأخ الميت، وهو يستلزم تمثيل المولَع بها بمحبة أكل لحم الأخ الميت، والتمثيل مقصود منه استفظاع الممثل وتشويهه؛ لإفادة الإغلاظ على المغتابين؛ لأن الغيبة متفشية في الناس، وخاصة في أيام الجاهلية، فشبهت حالة اغتياب المسلم من هو أخوه في الإسلام وهو غائب بحالة أكل لحم أخيه وهو ميت لا يدافع عن نفسه، وهذا التمثيل للهيئة قابل للتفريق: بأن يشبه الذي اغتاب بآكل لحم، ويشبه الذي اغتيب بأخ، وتشبه غيبته بالموت، والكراهة هنا: الاشمئزاز والتقذر، والتقدير: إن وقع هذا أو إن عرض لكم هذا فقد كرهتموه، والمعنى: فتعين إقراركم بما سُئلتم عنه من الممثل به إذ لا يستطاع جحده، وتحققت كراهتكم له وتقذركم منه، فليتحقق أن تكرهوا نظيره الممثل وهو (الغيبة)، فكأنه قيل: فاكرهوا الممثل كما كرهتم الممثل به، وعلى هذه الدلالة من الآية فالغيبة حرام؛ وذلك أنها تشتمل على مفسدة ضعف في أخوة الإسلام، وقد تبلغ الذي اغتيب فتقدح في نفسه عداوة لمن اغتابه، فينثلم بناء الأخوة؛ ولأن فيها الاشتغال بأحوال الناس، وذلك يلهي الإنسان عن الاشتغال بالمهم النافع له وترك ما لا يعنيه.

فإذا كان ذلك لوجه مصلحة مثل تجريح الشهود ورواة الحديث وما يقال للمستشير في مخالطة أو مصاهرة؛ فإن ذلك ليس بغيبة، بشرط أن لا يتجاوز الحد الذي يحصل به وصف الحالة المسؤول عنها، وكذلك لا غيبة في فاسق بذكر فسقه دون مجاهرة له به؛ ليحذر غيره منه.

ثم ختمت الآية بقوله تعالى: (واتقوا الله إن الله تواب رحيم) وفيها عطف على جمل الطلب السابقة ابتداء من قوله: (اجتنبوا كثيرا من الظن) وهذا كالتذييل لها، إذ أمر بالتقوى وهي جماع الاجتناب والامتثال، فمن كان سالمًا من التلبس بتلك المنهيات فالأمر بالتقوى يجنبه التلبس بشيء منها في المستقبل، ومن كان متلبسًا بها أو ببعضها، فالأمر بالتقوى يجمع الأمر بالكف عما هو متلبس به منها، وجملة: (واتقوا الله إن الله تواب رحيم)تذييل للتذييل؛ لأن التقوى تكون بالتوبة بعد التلبس بالإثم، فقيل: (إن الله تواب رحيم) وتكون التقوى ابتداء فيرحم الله المتقي، فالرحيم شامل للجميع (الهائم، 1423هـ، صفحة 298) (ابن عاشور، 2000م، صفحة (26/ 208).

وهذه الآية وما سبقها من آيات ترشد إلى قطع كل طريق يؤدي إلى التدابر والتنافر بين الإخوة في الإسلام، وتشد رباط الأخوَّة بما يفهم من دلالات الآيات الكريمات.

المطلب السابع: تقرير مبدأ المساواة والتفاضل على أساس التقوى.

قال تعالى: سمحيَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞسجى [الحجرات: 13]، في هذه الآية يخبر تعالى أنه خلق بني آدم من أصل واحد، وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم ﷺ وحواء، ولكن الله تعالى بث منهما رجالًا كثيرًا ونساءً وفرقهم، وجعلهم شعوبًا وقبائل.

والشَّعب: القبيلة المتشعبة من حي واحد، وجمعه: شعوب، والقبيلة: فرع من الشعب، فالشعب مجموع القبائل كبيرها وصغيرها؛ والحكمة من ذلك لأجل التعارف فيما بينهم، إذ إنه لو استقل كل واحد منهم بنفسه لم يحصل

بذلك، فالله تبارك وتعالى أراد بحكمته البالغة أن يتكون الناس من شعوب وقبائل ليتعارفوا فتقوم بذلك مصالحهم، ويتخذ بعضهم بعضًا سخريًّا، ولأجل النسب والمصاهرة... إلخ

إلا أن هذا التقسيم ليس معيارًا للتفاضل والتفاخر بين الشعوب أو القبائل، فقصد هذه الآية التسوية بين الناس، والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالأحساب والطعن في الأنساب، فليس لأحد التفاضل بحسبه أو الفخر بنسبه، فهذا ليس عند الله تعالى بشيء، فعن أبي هريرة ﵁ أنه قال عن رسول الله ﷺ: "من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه" (ابن حبان، 1433هـ، صفحة (1/ 547).

ثم جاء التنبيه على المعيار الحقيقي عند الله تعالى لتفاضل الناس وهو (التقوى)، فأكرمهم عند الله أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة وانكفافًا عن المعاصي، لا أكثرهم قرابةً وقومًا، ولا أشرفهم نسبًا، ثم نبه تعالى على الحذر بقوله: (إن الله عليم خبير) أي: بالمتقي الذي

يستحق رتبة الكرم في الإيمان، وهو سبحانه عليم بكم وبأعمالكم، خبير بباطن أحوالكم (الأصبهاني، 1412هـ، صفحة 455) (ابن عطية، 1422هـ، صفحة (5/ 152) (ابن جزي، 1416هـ، صفحة (2/ 298) (الألوسي، 1415هـ، صفحة (13/ 313) (السعدي، 1420هـ، صفحة 802).

وفي هذه الآية تقرير لمبدأ المساواة بين الشعوب والقبائل، فكلهم من آدم ﵇ وحواء، ولا تفضيل ولا كرامة لعرق ولا لون، إنما الفضل بالتقوى عند الله تبارك وتعالى.

المبحث الثاني: الأخلاق والقيم الإنسانية المستنبطة من سورة الحجرات وأثر الهدايات القرآنية في رقيها وبنائها.

وهذا المبحث يُعنى بالدلالات المستنبطة من آيات السورة، والتي تحمل القيم والأخلاق الفاضلة التي لا بد للمسلم أن يتحلى بها، مع بيان أثر هدايات القرآن الكريم في رقيها وبنائها، وهي كالتالي:

المطلب الأول: التوقير والاحترام.

من خلال قوله تعالى: سمحيَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَسجى [الحجرات: 1-2]، جاء التوجيه الرباني في شأن تعظيم أمر الله تعالى ورسوله ﷺ، وأن لا يتقدم المسلم بشيء من أمره يتجاوز فيه ما حده الله لعباده في الأمر ولا في النهي، ولا في الحب والتعظيم والإجلال، ولا في الطاعة، فتطيع المخلوق في أمره ونهيه كما تطيع الله، بل أعظم، كما عليه أكثر الظلمة والفجرة، ولا في الخوف والرجاء، ويجعله أهون الناظرين إليه، ولا يستهين بحقه ويقول: هو مبني على المسامحة، ولا يجعله على الفضلة، ويقدم حق المخلوق عليه، ولا يكون الله ورسوله ﷺ في حد وناحية، والناس في ناحية وحد، فيكون في الحد والشق الذي فيه الناس دون الحد والشق الذي فيه الله ورسوله ﷺ، ولا يعطي المخلوق في مخاطبته قلبه ولبه، ويعطي الله في خدمته بدنه ولسانه دون قلبه وروحه، ولا يجعل مراد نفسه مقدمًا على مراد ربه.

فهذا كله من عدم وقار الله تعالى وتعظيمه في القلب، ومن كان كذلك فإن الله لا يلقي له في قلوب الناس وقارًا ولا هيبة، بل يسقط وقاره وهيبته من قلوبهم، وإن وقروه مخافة شره فذاك وقار بغض لا وقار حب وتعظيم.

ومن وقار الله أن يستحيي من اطلاعه على سره وضميره فيرى فيه ما يكره، ومن وقاره أن يستحيي منه في الخلوة أعظم مما يستحيي من أكابر الناس.

والمقصود أن من لا يوقر الله وكلامه وما آتاه من العلم والحكمة كيف يطلب من الناس توقيره وتعظيمه؟!

وأما رسول الله ﷺ فتعظيمه وتوقيره جاء بأمر الله تعالى في كتابه: قال تعالى: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: 9]، فإن رسول الله ﷺ مبلغ عن ربه جل في علاه، ولذا جاء التوجيه في آيات هذه السورة بالنهي عن رفع الصوت بحضرة النبي ﷺ، وكذلك رفع الصوت بحد يجاوز صوته؛ لأن رفع الصوت قلة احتشام وترك احترام، وهذا لا يليق بمقام النبوة الشريفة؛ لما لها من عظيم التفضل الذي تفضل الله به على العباد حين أرسل إليهم المبلغ لهم عنه تبارك وتعالى.

وكذا شخص النبي الكريم الذي يحمل الرسالة والنبوة، فهو له من الحرمة والإجلال والإكرام والتوقير والاحترام والإعظام ما استفاضت به الدلالات في الآيات الكريمات من كتاب الله تبارك وتعالى.

والأمر بالتوقير والاحترام يتجاوز إلى حملة النور والهدى من العلماء الربانيين، وحفظة كتاب الله تعالى، وولاة الأمر، وحتى ذي الشيبة المسلم، ففي الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط" (أبو داود، ن.د.، صفحة (4/ 261).

فخلق التوقير والاحترام والإكرام من الأخلاق الفاضلة التي دعت إليها هذه السورة في صدر آياتها، والتي لا بد للمسلم أن يلزمها؛ لما لها من أثر في حياته، وهي طريق لفلاحه ونجاته (بن حميد، ن.د.، صفحة (8/ 3670) (مارديني، ن.د. ، صفحة 36).

المطلب الثاني: أدب المخاطبة والحوار.

وهذا مفهوم من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: 2-3]، وقد وعى الرعيل الأول هذا جيدًا، وأدرك عِظم هذا الأمر، فها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد ما تنزلت الآيات يقول: (يا رسول الله والله لا أكلمك إلا السرار، أو أخا السرار، حتى ألقى الله تعالى)، وكان رضي الله عنه إذا قدم على رسول الله ﷺ الوفود أرسل إليهم من يعلمهم كيف يسلّمون، ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله ﷺ، وكان عمر رضي الله عنه بعد ما تنزلت الآيات يكلم رسول الله ﷺ كأخي السرار، فلا يسمعه عليه الصلاة والسلام حتى يستفهمه، وهذا ثابت بن قيس رضي الله عنه كان جهوري الصوت؛ فلما تنزلت الآيات احتبس ثابت رضي الله عنه في بيته حزنًا وهمًّا؛ ظنًّا منه أنها تنزلت لأجله، وأنه قد حبط عمله فهو من أهل النار، فافتقده رسول الله ﷺ فبعث إليه، فأُخبر بشأن احتباسه، فبشره رسول الله ﷺ بالجنة (ابن كثير، 1999م، الصفحات (7/ 368-386).

وهذا أدبٌ أدّبَ الله به عباده مع رسوله ﷺ، في مخاطبته ومحاورته، وهذا السمت في الكلام من غض الصوت كان من وصايا لقمان الحكيم، قال تعالى: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: 9]، وقد سأل أبو عبد الله الجدلي عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: (لم يكن

فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح) (الترمذي، 1395هـ، صفحة (4/ 369). فلم يكن من خلق رسول الله ﷺ رفع الصوت، وهذا السمت النبوي والوصية اللقمانية، ينبغي أن يكونا سبيل الحوار والخطاب والنقاش وحتى الجدال بين أفراد المجتمع المسلم، إذ إن رفع الصوت ينم عن ضيق صدر، واحتقان خلق، واشتياط غضب، ولا يخفى ما يؤدي إليه ذلك من الشقاق والخلاف بين الإخوة في الدين، وما يؤدي إليه ذلك من اشتعال الفتنة بين المسلمين.

فمن أعظم ما يكون من أدب الحوار والمخاطبة، غض الصوت وما يتبعه من لين الكلام والتلطف والأدب مع عباد الله.

المطلب الثالث: التأني والصبر.

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: 4-6]، حين نادى جفاة الأعراب رسول الله ﷺ من وراء حجراته[7]، ولم يراعوا أدبًا وصبرًا حتى يخرج إليهم رسول الله ﷺ، ذمهم الله تعالى بعدم العقل، إذ إن العقل يضفي على صاحبه تأدبًا واحترامًا وصبرًا.

بل وكان تعجلهم لخروجه ﷺ ذنبًا يلزمه توبة؛ ولذا فإن العجلة قد تودي بصاحبها إلى ما لا يحمد عقباه.

وجاء في كتب التفسير في شأن قصة سبب النزول وما كان من هؤلاء القوم مع رسول الله ﷺ، أنهم جاؤوا شفعاء في أسارى يقال لهم: بنو عنبر، فأعتق رسول الله ﷺ، وفادى على النصف، ولو صبروا لأعتق جميعهم بغير فداء؛ وهذا لأنهم تعجلوا الشيء قبل أوانه فعوقبوا بشيء من حرمانه.

وكذلك لا بد من التأني والتروي حين تلقي الأنباء التي يترتب عليها الأفعال، وخصوصًا التي يؤدي نشرها إلى الإرجاف والخلاف، فمثل هذه الأنباء لا بد فيها من الأناة والصبر حتى يتبين وجهها، أو يدل عليها الدليل، فالاستعجال فيها وعدم التأني من زيغ الشيطان، ففي الحديث عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "التأني من الله، والعجلة من الشيطان" (أبو يعلى، 1434هـ، صفحة (6/ 188).

فالصبر والأناة كلاهما خير، ومن حازهما فقد حاز الخير، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس ﷺ: "إن فيك خلتين يحبهما الله، الحلم والأناة" (أبو داود، ن.د.، صفحة (4/ 357).

وقد أثنى الله على أهل الصبر في سورة العصر، قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: 1-3]، فإن الإيمان لا يكون إلا بالصبر، قال علي ﷺ: (ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا انقطع الرأس بان الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا لا إيمان لمن لا صبر له). فلا تقوم طاعة إلا بصبر، ولا ينكف عن معصية إلا بصبر، ولا يردع عن الجزع إلا الصبر (ابن أبي الدنيا، 1418هـ، صفحة 24) (القرطبي، 1964م، صفحة (16/ 311).

---

(7) انظر: ص8.

والصبر والأناة يحملان صاحبهما على التروي وعدم العجلة في البت بأي أمر، أو تصديق أي نبأ، فيحفظ بذلك بإذن الله تعالى عن شر كبير يسبِّبه الاستعجال، والحديث عن هاتين الخصلتين يطول، ولا تكفيهما هذه الكلمات، بل تحتاجان إلى مؤلفات، لكن لعل ما ذكر فيه الفائدة والنفع بإذن الله تبارك تعالى.

المطلب الرابع: الصدق والأمانة.

وقيمة الصدق والأمانة نستنبطها من مفهوم الآية: سمحيَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ سجى [الحجرات: 6]، إذ إن هذه الآية كما ورد في سبب نزولها[8] من قصة الوليد بن عقبة وكذبه على من أرسله إليهم رسول الله ﷺ، وما كان سيؤول إليه الأمر من الاقتتال بسبب الكذب والافتراء، وعدم القيام بأمانة المهمة التي أوكل بها.

وهنا لفتة عظيمة في هذه الآيات بعد ما بُيِّن فيها وجوب التثبت من الأخبار، من أن الأصل في المؤمن الصدق، فالكذب المحرم من نعوت الفسقة، وأن المؤمن لا بد له من أداء الأمانة التي يكلف بها على أكمل وجه، ولا يكون كمن نزل فيه سبب النزول للآية ووصف بالفسق والعياذ بالله تعالى.

والصدق من أعظم الأخلاق التي أمرنا بها القرآن الكريم وحث عليها، وذلك في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: سمحيَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَسجى [التوبة: 119]، ومن اتصف بالصدق حسنت أخلاقه، وهو رأس الفضائل والأخلاق، وعليه يقوم الإيمان.

والمؤمن يصدّق ظاهره باطنه، ويصْدُق في قوله وفعله ووعده، فهو صادق أمين، يؤدي القول والفعل والوعد بإخلاص وأمانة.

وأثنى الله تعالى في كتابه على من يؤدي الأمانة ويرعاها حق رعايتها، قال تعالى: سمحوَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَسجى [المؤمنون: 8]، فبالأمانة تقوم المصالح، وبذهابها تفسد الأحوال، بل وزوالها من علامات قرب الساعة! ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إذا ضيّعت الأمانة فانتظر الساعة" (البخاري، 1414هـ، صفحة (5/ 2382).

والصدق والأمانة كلاهما يبعث على الآخر، والآيات والهدايات التي تدل على الحث على هاتين الخلتين في كتاب الله تعالى كثيرة جدًّا، ويجدر بالمؤمن أن يراعي بقلبه قبل نظره ما جاء في كتاب الله تعالى عن هاتين الخلتين، إذ بهما يقوم دين المرء ودنياه (مركز تفسير للدراسات القرآنية، ن.د.، الصفحات (4/ 306) (20/ 393-413).

المطلب الخامس: الإصلاح والعدل والأخوة في الدين.

وهذا متمثل من خلال قوله تعالى: سمحوَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَسجى [الحجرات: 9-10]، وجاء في بداية هذه الآية الأمر بالإصلاح بين المؤمنين، ورتب الرحمة في الدنيا والآخرة على ذلك.

---

(8) انظر: ص8.

والإصلاح يشمل في كتاب الله أمورًا عديدة، فهنالك الصلح مع الكفار، والصلح بين الزوجين، والإصلاح في المال... إلى غير ذلك، وما كان ذلك إلا لأن الإصلاح مقصد من مقاصد الشريعة، وهو خير ما يُسعى به بين الناس، قال تعالى: سمحلَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗاسجى [النساء: 114]، وبالإصلاح يمتد الخير على كافة الأصعدة، فأنعم به من خلة!

أما العدل فهو ميزان الله الذي وضعه للخلق، ونصبه للحق، فينبغي للعبد أن لا يخالفه في ميزانه، ولا يعارضه في سلطانه، وأن يستعين على العدل بخلتين: قلة الطمع، وكثرة الورع.

وقد حث الله تعالى عباده على إقامة العدل في غير ما آية، منها قوله تعالى: سمح إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَسجى [النحل: 90]، وقوله سبحانه: سمح۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗاسجى [النساء: 58].

والعدل إحدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها إلا به، ولا صلاح فيها إلا معه، ويجب على الإنسان أن يبدأ بالعدل في نفسه، ثم بالعدل مع غيره.

والإصلاح والعدل إن تلازما نتجت عنهما الأخوة والمحبة بين الأفراد، وما من أخوة أوثق عرًا من أخوة الدين؛ لأنها أخوة بنص كتاب الله تعالى، والله تبارك وتعالى هو الذي عقد هذه الأخوة من فوق سبع سماوات، وما عقده الله تعالى يستحيل أن تحله يد بشر!

هذه الأخوة في الدين التي تجاوزت ما يكون بين الإخوة من النسب، تمثلها صورة مشرقة بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من المهاجرين والأنصار، إذ إن الأنصار عندما قدم إليهم المهاجرون في المدينة اقتسموا معهم أموالهم وديارهم، وعرضوا تلك القسمة والمؤاخاة حتى في تزويجهم ما يشاؤون من أزواجهم، فلله درهم!

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ وصف لمدى لحمة هذه الأخوة وتماسكها، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ("إن المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا" وشبك أصابعه) (البخاري، 1414هـ، صفحة (1/ 182) .

وهذه الأخوة الإيمانية الوطيدة بين أفراد المجتمع المسلم، لها من الآثار في صلاح هذا المجتمع بل وازدهاره وتقدمه ما لا حصر له؛ لأنها سراج للمحبة، والسلام، والإيثار، والعطاء، والنصيحة، والإكرام، والاحترام (الصواف، 1394هـ، صفحة 107) (بن حميد، ن.د.، صفحة (7/ 2793) (مركز تفسير للدراسات القرآنية، ن.د.، صفحة (3/ 326، 340، 355).

ويكفي من ذلك حديث من أوتي جوامع الكلم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم في بيان هذه الآثار المترتبة على الأخوة في الدين، فعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه" (أبو داود، ن.د.، صفحة (4/ 280).

وما تقدم من هذه الأخلاق والقيم، من إصلاح وعدل وأخوة في الدين دعت إليها هذه السورة بمنطوقها ومفهومها، هي من أساسات بناء المجتمع المسلم، التي بفواتها يتصدع بنيانه أو ينهار.

المطلب السادس: آداب التعامل بين الناس.

وهذه الآداب تتجلى للمؤمن بوضوح من خلال هذه الآيات الكريمات، قال تعالى: سمحيَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞسجى [الحجرات: 11-12]، ومفهومها مما جاء به النهي، فنهت هذه الآيات عن السخرية، واللمز، والنبز، وسوء الظن غير المستند لدليل، والتجسس، والغِيبة.

فالآية تدعو العباد إلى حسن التعامل بينهم، واجتناب ما يبتذل من الأخلاق التي تنم عن سوء ما انطوت عليه النفوس وميلها عن محاسن الخلال والشيم.

ومنها السخرية واللمز والنبز التي تكون في مجالس السمر، حيث لا يرعوي البعض عن كشف عورات إخوانهم؛ وما ذلك إلا ليبعث الفَكَه بين جلسائه بالتندر والطرفة والاستهزاء!

ولا يخفى ما يكون من أثر ذلك من شحن النفوس بالبغضاء والشحناء، ومن ثم الشقاق والخلاف والتنافر...

وهذه الخصال المذمومة من سخرية ولمز ونبز إنما هي من فحش القول وسوئه، وهذا ليس بسمت للمسلم على الإطلاق، وفي الحديث أن أبا عبد الله الجدلي سأل عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: (لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح) (الترمذي، 1395هـ، صفحة (4/ 369).

وعلى النقيض من ذلك والذي ينبغي أن يكون للمسلم خلقًا وسجية، أن لا يسخر من أحد مهما بلغ أمر ذلك الشخص المستدعي للسخرية، ولا يعيب على أحد بأي شكل من الأشكال، سوى إن كان وصفًا عرف به وهو عيب ولا يقصد منه ذلك، مثل قول: الأعمش، الأحدب... من باب إطلاق الصفة واشتهارها لا قصد عيبها، وأن لا يتتبع عورات أحد، ولا يترصد لزلاته حتى يعيبه ويتندر به، ولا يلقب أحدًا بلقب يكرهه بقصد إغاظته أو لأجل المزاح والضحك، وأن يترفع بلفظه عن هذا كله وعن أي سباب وشتم، وجاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: "سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر" (البخاري، 1414هـ، صفحة (1/ 27) (القرطبي، 1964م، صفحة (16/ 329).

وكذا القول عن سوء الظن والتجسس والغيبة في الابتعاد عما حرّم منها، وكل من هذه الصفات تفضي إلى الأخرى، أما سوء الظن فبابه أوسع ومغبته عظمى، وما نجمت العقائد الضالة والمذاهب الباطلة إلا من الظنون الكاذبة، قال تعالى: سمحيَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖسجى [آل عمران: 154] (ابن عاشور، 2000م، صفحة (26/ 209).

وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول اللهﷺ قال: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا[9]، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا[10]، وكونوا عباد الله إخوانًا". (الهروي، 1419هـ، صفحة (2/ 440، 441) (أبو عبيد، 1348هـ، صفحة (2/ 10) (مسلم، 1433هـ، صفحة (8/ 10).

وهذا الحديث تأكيد لما نهي عنه في هذه الآيات، فسوء الظن يتبعه التجسس بوسائل غير مشروعة، فتكشف العورات وتنتهك الحرمات، فيرى ويسمع ما لا ينبغي مما يكون في خاصة أخيه، ويؤدي به ذلك إلى نهش عرضه، والتكلم فيه، وفضح سره.

فإن علم المتجسَّس عليه بالأمر فلا شك أنه يقع في الغِيبة أيضًا، بل قد يتجاوز به الأمر إلى فحش القول، وحمل الضغينة، واسترسال الكراهية، فكلٌّ من المتجسِّس والمتجسَّس عليه قد وقعا في حبائل إبليس المتشابكة التي يصعب الانفكاك منها، والعياذ بالله تعالى!

وأما الغِيبة، وما أدراك ما الغِيبة؟!

فاكهة المجالس، ومسامرة الركب، والتعدي والتجني، فإن ما حرم منها لا يقل خطرًا عن سابقيه من الآثار المترتبة عليه، بل إنه يوقع الوحشة بين الإخوان، ويقطع نياط المودة بين الخلان، ولا سيما إن اقترن بالنميمة أو آل إلى الكذب وهو البهتان، كما جاء في الحديث حين سأل رسول الله ﷺ صحابته الكرام، فقال: "أتدرون ما الغيبة؟" قالوا: (الله ورسوله أعلم)، قال: ذكرك أخاك بما يكره " قيل: (أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟) قال: "إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه، فقد بهَتَّه" (مسلم، 1433هـ، صفحة (8/ 21).

وعلى عموم الأمر، فهذه المنهيات تفشت في المجتمعات بشكل كبير، وأخذت تنهش بها من كل جانب، وما ذاك إلا بسبب البعد عن كتاب الله والاسترشاد بهدايته.

المطلب السابع: نبذ العنصرية.

وهذا يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: 13] وقد بينت هذه الآية المعيار الحقيقي لأفضلية الناس عند الله تبارك وتعالى، وهذا ميزان أخروي لا علاقة له بأعراق الناس وأنسابهم ودنياهم، والله تبارك وتعالى جعلهم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا ويتكاتفوا، لا لأن يفخر بعضهم على بعض، ويترفع بعضهم على بعض (مارديني، ن.د. ، صفحة 21).

فهذه الآية تدعو الناس إلى الالتحاق بركب المتقين، والنظر إلى من عند الله تبارك وتعالى مما أعده لهم من أجر عظيم في الآخرة، وأن لا تكون هذه الدنيا هي الغاية بحيث تكون الأفضلية فيها لمن حاز مالًا أو كان ذا حسب أو جاه أو سلطان.

ولا أدل على ذلك من الصور التي تمثل هذه الغاية، مما يكون في موسم الحج، فالناس غنيهم وفقيرهم، أبيضهم وأسودهم، عربهم وعجمهم، في صعيد واحد، وبلباس واحد، والتفاضل بينهم عند الله تبارك وتعالى بتقوى القلوب.

(9) تحسسوا: تحسس أي: استمع لحديث القوم، وتطلب معرفة الأخبار.
(10) تدابروا: من الدبر، والمقصود به (الهجران)؛ مأخوذ من أن يولي الرجل صاحبه دبره ويعرض عنه بوجهه.

ولأجل ذلك فدلالة الآية تقرر مبدأ المساواة، وترشد إلى نبذ العنصرية التي سببها اعتقاد التفاضل الدنيوي للون أو عرق أو شعب... وتبين للناس أن أباهم واحد، وأمهم واحدة، فهم متساوون في الخلقة وأصلها، فعلام التحيز والتمييز والعنصرية؟!

الخاتمة:

من خلال ما تقدم من بحث توصلت إلى نتائج مهمة تتلخص فيما يلي:

1- سورة الحجرات من السور المدنية، والتي تعالج فيها قضايا المجتمع المدني في ذلك الحين، والمسترشد به من هدايات للمجتمع المسلم على امتداد العصور.

2- سورة الحجرات كثرت فيها أسباب النزول، ولكل منها حدث من أحداث عهد النبوة الشريفة، مع ما يحمله كل حدث من توجيه رباني فيه.

3- حماية حمى الشريعة بالنهي عن مجاوزتها إلى آراء وأهواء البشر.

4- احترام جناب النبي الكريم، وتوقيره وتعظيمه من دلالات الإيمان والتقى.

5- التثبت من الأنباء غاية شرعية مطلوبة؛ لاجتناب إشاعة الأكاذيب وإثارة الفتن.

6- الإصلاح مطلوب شرعي على كافة الأصعدة، وما جاء في هذه السورة على وجه الخصوص من الإصلاح بين طائفتين من المسلمين.

7- النهي عن السخرية واللمز والنبز بين فئات الرجال والنساء؛ لما يتسبب به ذلك من شيوع الكراهية بين المسلمين.

8- النهي عن سوء الظن والتجسس والغيبة المحذورة شرعًا؛ لما لها من التسبب في صدع بناء المجتمع المسلم.

9- تقرير مبدأ المساواة ونبذ العنصرية بين الناس، والتفاضل عند الله تعالى على أساس التقوى.

التوصيات:

1- العناية بالجانب الأخلاقي في القرآن الكريم، وإعداد موسوعة من خلال التفسير الموضوعي فيه.

2- القيام ببحث يتكلم عما نهى عنه القرآن الكريم من مساوئ الأخلاق.

3- جمع الألفاظ الدالة على البناء المجتمعي في القرآن الكريم، والاستفادة منها في إعداد البحوث القرآنية.

4- التطرق إلى عوامل هدم المجتمعات من خلال القرآن الكريم.

5- قضايا الأخلاق في العهد المكي والعهد المدني والفرق بينهما من خلال القرآن الكريم موضوع جدير بالبحث.

6- الاهتمام بدلالات السياق القرآني من خلال قصص الأنبياء مع أقوامهم وما كانت عليه هذه الأقوام من سيئ الأخلاق.

7- تخصيص بحث يتكلم عن أخلاق الأنبياء من خلال القرآن الكريم، أو السنة النبوية المطهرة.

مراجع

ابن أبي الدنيا. (1418هـ). *الصبر والثواب عليه* (المجلد الأولى). بيروت: دار ابن حزم.

ابن الهائم. (1423هـ). *التبيان في تفسير القرآن* (المجلد الأولى). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ابن جزي. (1416هـ). *التسهيل لعلوم التنزيل* (المجلد الأولى). بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم.

ابن حبان. (1433هـ). *المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع* (المجلد الأولى). بيروت: دار ابن حزم.

ابن زنجلة. (1402هـ). *حجة القراءات* (المجلد الثانية). بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن عاشور. (2000م). *التحرير والتنوير* (المجلد الأولى). بيروت: مؤسسة التاريخ العربي.

ابن عطية. (1422هـ). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز* (المجلد الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن كثير. (1999م). *تفسير القرآن العظيم* (المجلد الثانية). الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

ابن منظور. (1414هـ). *لسان العرب* (المجلد الثالثة). بيروت: دار صادر.

أبو السعود. (ن. د.). *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم* (المجلد ن. ط.). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أبو حيان. (1420هـ). *البحر المحيط* (المجلد ط. د.). بيروت: دار الفكر.

أبو داود. (ن.د.). *سنن أبي داود* (المجلد ط.د.). بيروت: المكتبة العصرية.

أبو عبيد. (1348هـ). *غريب الحديث* (المجلد الأولى). حيدر آباد: مطبعة دائر المعارف العثمانية.

أبو يعلى. (1434هـ). *مسند أبي يعلى الموصلي* (المجلد الأولى). القاهرة: دار الحديث.

الألوسي. (1415هـ). *روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني* (المجلد ن. ط.). بيروت: دار الكتب العلمية.

البخاري. (1414هـ). *الجامع الصحيح* (المجلد الخامسة). دمشق: دار ابن كثير - دار اليمامة.

الترمذي. (1395هـ). *سنن الترمذي* (المجلد الثانية). مصر: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الجوهري. (1407هـ). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية* (المجلد الرابعة). بيروت: دار العلم للملايين.

الخازن. (1415هـ). *لباب التأويل في معاني التنزيل* (المجلد الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.

الداني. (1994م). *البيان في عد آي القرآن* (المجلد الأولى). الكويت: مركز المخطوطات والتراث.

الراغب الأصبهاني. (1412هـ). *المفردات في غريب القرآن* (المجلد الأولى). دمشق: دار العلم - الدار الشامية.

السعدي. (1420هـ). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان* (المجلد الأولى). بيروت: مؤسسة الرسالة.

الصواف. (1394هـ). *نظرات في سورة الحجرات* (المجلد ط.د.). بيروت: مؤسسة الرسالة.

الطبري. (1420هـ). *جامع البيان في تأويل القرآن* (المجلد الأولى). بيروتمؤسسة الرسالة.

القرطبي. (1964م). *الجامع لأحكام القرآن* (المجلد الثانية). القاهرة: دار الكتب المصرية.

الكشاف. (1407هـ). *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل* (المجلد ط.د.). بيروت: دار الكتاب العربي.

النسائي. (1991م). *سنن النسائي* (المجلد الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.

الهروي. (1419هـ). *الغريبين في القرآن والحديث* (المجلد الأولى). المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز.

الواحدي. (1992م). *أسباب النزول* (المجلد الثانية). الدمام: دار الإصلاح.

مارديني. (ن.د.). *التفسير التربوي-ومضات تربوية من وحي القرآن الكريم* (المجلد ط.د.). دمشق: دار العصماء.

مركز تفسير للدراسات القرآنية. (ن.د.). *موسوعة التفسير الموضوعي* (المجلد ط.د.). الرياض: مركز تفسير للدراسات القرآنية.

مسلم. (1433هـ). *الجامع الصحيح* (المجلد الأولى). بيروت: دار طوق النجاة.

وآخرون بن حميد. (ن.د.). *نضرة النعيم في مكترم أخلاق الرسول الكريم* (المجلد لا يوجد). لا يوجد: لا يوجد.